الكرسي

صحوت مرة فوجدت نفسي صبياً يثير البهجة والفرح لمن حوله، فيه من خفَّة الدم ونضارة البشرة ما يجذب إليه الجميع، وصحوت مرة أخرى لأجد نفسي غلاماً يلفت الأنظار بفطنته وبلاهته معاً، حتى أنا نفسي لا أعرف نفسي.. فما أعرفه عن داخلي لا يعرفه الآخرون، وما يعرفه عني الآخرون لا أعرفه أنا، ترى.. أغبي أنا أم ذكي.. أم محظوظ..؟ في المدرسة كانت تأتيني ورقة الامتحان مرفقة مع ورقة الإجابة وأنا أغطُّ فوقهما بنوم عميق..!

وبعدها بغير قليل.. فوجئت بأيدٍ ترفع مقعدي إلى أعلى.. ثمَّ أعلى.. ثمَّ أعلى.. حتى أجلسوني على كرسي لا يمتُّ لأحلامي بصلة، في الحقيقة.. لم يكن لديَّ شيء محدد من الأحلام.. المهم أن أشبع رغبتي من النوم ولا يهم إن رأيت حلماً أم لا، لكن الأمر الجميل أنني في حياتي كلِّها لم أرَ كوابيس، دائماً أغطُّ في نوم عميق.. أحب النوم، أحبه كثيراً..! أنا لا أنام

لأنني أحتاج إلى النوم، أنا أنام لأنني أحب النوم، هناك فرق..!

هذا الكرسي جعلني صحفياً، لكنني صحفي باختصاص، فأنا مخوَّل أن أرصد الواقع بعيونهم، وأنتقي من الصور ما يريدونه، وأرتدي القميص باللون الذي يحبون، أصبح موقعي مركزاً مهماً للإعلام، ولبثِّ الأخبار والدعايات، باتت تحركاتي وألفاظي محسوبة بدقة، وصار لي أعداء لا أعرفهم ولا أفهم سبب عداوتهم، بل إنني لا أدري في كثير من الأحيان إن كانوا حقاً أعدائي، فقد أمضينا معاً سهرات رائعة..!

صار يُخشى عليَّ من تلك العداوات الوهمية، فكان لا بدَّ لي من مرافَقَة تحيط بي وتدبُّ الرعب في قلوب من يراني.

بعد هذه المسيرة المتواضعة من حياتي طُلب مني أن أسرد قصتي، كتبتها بمدادهم بحيث يستمتع القارئ بها، وليس بالضرورة كما عشتها أنا..! فأنا الذي تعبت وسهرت الليالي، وضحيت بالغالي والرخيص من أجل هدف وحيد راقٍ وسامٍ، هدف بات سلعة تصعَّد بها جميع الدوافع البشريةً من رغبة في الطعام والجنس والمال والمنصب، فكل شيء من أجل خدمة الوطن، وأنا من أجل الوطن صعدت.. وأكذوبة أن يصل المرء من غير صعود..! بل الأكذوبة الكبرى أنني هنا على

هذا الكرسي، المصيبة أنني أول من صدَّق هذه الأكذوبة، وصدَّقها غيري كثيرون، ثمَّ استفحل الأمر.. فقد انتشر وباء الكذب إلى جميع الكائنات البشرية، فبتنا أكذوبات تمشي على الأرض، وكلما كانت الأكذوبة أكبر وأشدَّ لمعاناً وأكثر لفتاً للنظر فهي ترمز أكثر للإبداع والخلق، أليس الكذب خلقاً وافتراءً..؟

في آخر ليلة نمت فيها، نمت طويلاً.. طويلاً جداً، واستغرقت في النوم بشكل خرافي، وعندما صحوت شعرت برأسي خاوياً كالطبل، والدنيا تدور من حولي كدوَّامة فظيعة، وفوجئت بنفسي منتفخاً حتى ضاق الكرسي بي وضقت ذرعاً به، فأنا عادة حتى عند النوم أنام على الكرسي، أنا لا أترك الكرسي بحال من الأحوال، فقد اعتدت عليه وأخشى أن أفقده، لكنه الآن ضاق بي، وصار حجمي يتطلَّب كرسياً أكبر.

طلبت من مرافقتي أن يبحثوا لي عن كرسي يليق بحجمي، كانوا يبحثون ويبحثون.. جاؤوني يلهثون :

كل الكراسي محجوزة يا سيدي، لا أحد يريد الوقوف، هناك تهافت عظيم على الكراسي كبيرة الحجم.

صرخت فيهم غاضباً : لا يهمني كلُّ ما تقولون، المهم أن تجدوا لي كرسياً يلائمني حتى لو اضطررتم أن تسحبوه من صاحبه على حين غرَّة..!

- أيُّ غرَّة يا سيدي الكل متشبِّث بكرسيه بطريقة (هيستيرية)..!

زمجرت غاضباً فتفرَّقوا من حولي كفئران هاربة..

راحوا يبحثون ويبحثون، كانوا كلما تمكنوا من اختلاس كرسي وجاؤوني به عادوا ليجدوني انتفخت أكثر من ذي قبل، وما عاد الكرسي الجديد يليق بانتفاخي.

استشرى داء النفخة في أكذوبات أخرى، واستعصى الأمر، على مثلي العثور على كرسي مناسب، الكل يبحث.. ويفتش.. الكل في سباق مع الزمن، في تنافس منقطع النظير، ابتدعوا فكرة تصنيع كراسي جديدة، وأنشئت شركات ضخمة بتراخيص أجنبية لتصنيع أكبر وأفخم الكراسي، لكن الوقت ليس في صالحي، ما زلت أنتفخ.. وحجمي يكبر، وأنا حائر في نفسي، مرتبك في أمري، لم أعتد أن أتخذ قراراتي بنفسي، ومن كنت ألجأ إليهم مشغولون بأمرهم مثلي، فهم يبحثون عن الكرسي الذي سيحلُّ مشكلة انتفاخهم.

صرت كلما انتفخت وكبرت حجماً خفَّ وزني، وخفَّ.. وخفَّ.. حتى أصبحت بوزن الريشة وحجم الفيل، لم أجد نفسي إلا وأنا أطير.. من غير جناح.. من غير مشقَّة، رحت أعلو.. رويداً.. رويداً.. فوق الجباه، فوق الهامات، فوق المكاتب، فوق الكراسي، فوق الشهادات

المعلَّقة على الجدران، كلُّ هذا والمرافقون يبحثون لي عن الكرسي، أيُّ كرسي سيحلُّ أزمتي هذه..؟ بل لن تكفي أيُّ ميزانية لصنع كرسي كهذا ..!

ضاقت بي الدنيا برحبها، وضاق صدري ذرعاً بما آلت إليه حالي، أيعقل ألَّا يجدوا على ظهر الأرض كرسياً يرضيني..؟ من بين المرافقين الأغبياء الحثالة، لمعت عينا أحدهم بخبث ومكر معتَّقين، اقترب مني، أراد أن يهمس في أذني، لكنني كنت فوقه بكثير، كنت أسبح في الهواء، حاول الاستعلاء للوصول إليَّ.. بالوسائد.. صعد على جبل من الكتب، ولم يصل إلى ما علوت إليه، كنت أترنَّح في الهواء كبالون يكاد ينفجر، استعان بالسلالم حتى كاد يقاربني، شدني الفضول في عليائي، أردت أن أعرف ما الجديد الذي لديه، لعلَّه يحلُّ مشكلتي..

استند بيديه وشدَّ ظهره، مطَّ رقبته، قدَّم شفتيه حتى دغدغتا أذنيّ، قال لي :

ما رأيك بكرسي يخلِّد ذكرك وينهي مشكلتك..؟

قلت مغتاظاً من رذاذ نبراته وأنا أتمايل مع نسمات الهواء :

وماذا تنتظر أيها الوضيع السافل..؟

بابتسامة ماكرة دفعني بيده مزيداً إلى الأعلى،

فرحت أصعد عالياً في الفضاء، وأنا لا أفهم ما الذي صنعه وأيَّ كرسي يقصده.. جاءني صوته وهو يبتعد عني ويصغر ويصغر..

إنه عرش الألوهية، وداعاً أيها الغبي المحنَّط في السماء..! مقبرة الآلهة البشر تنتظرك في قعر الجحيم، لا تنسَ أن تسلِّم على إخوانك.. فرعون.. وقارون.. وشارون..!!!